إسهام ســـوسيـــو - ســـيكوديناميي لجنوح الأحداث

د/ طالب حنان
جامعة ورقلة(الجزائر)
د/ فاسي امال
جامعة سطيف 2(الجزائر)

ملخص الدراسة:

استفحلت آفة جنوح الأحداث في الجزائر كغيرها من دول العالم، واستدعت اهتمام المختصين في كل المجالات للحد من انتشارها والوقاية منها باعتبارها مشكلة بالغة تمس فئة تعتبر مستقبل الأمة وعمادها، ولهذا جاء هذا المقال لتسليط الضوء علـــى جنوح الأحداث، من خلال الكشف على الآليات المتدخلة في تولد السلوك الجانح والمساهمة في تبلوره، محاولين في ذلك الربط بين المفاهيم الاجتماعية النفسية والعيادية التحليلية في مقاربة سوسيوسيكودينامية، وهذا ما قد يساهم في فهم الظاهرة ووضع الخطـــط العلاجية والوقائية الناجعة.

الكلمات المفتاحية: جنوح الاحداث، مقاربة سوسيولوجية، مقاربة سيكوديناميية.

Abstract :

La délinquance juvénile est un fléau qui s’est rependu en Algérie et qui a sollicité l'attention des spécialistes dans tous les domaines, afin de traiter et prévenir ce phénomène si important, car il affecte l'avenir du pays en touchant le pilier de la société qui sont ses jeunes. Cet article vise à relever les mécanismes intervenants dans la génération du comportement délinquant et à son élaboration, en essayant de lier entre les concepts psychologiques cliniques et sociaux dans une approche Socio-psycho -dynamique, qui peut contribuer à la compréhension de ce phénomène et ensuite à la proposition des programmes thérapeutiques et préventifs efficaces.

Mots clés : La délinquance juvénile, approche sociale, approche psycho dynamique.

مقدمة:

تعد ظاهرة جنوح الأحداث من أهم المشكلات الاجتماعية التي تواجه جميع دول العالم، وتعد الجزائر من الـدول التي استفحلت فيها هذه الظاهرة، إذ تحول الأطفال فيها إلى منتجين للعنف أكثر مما هم عرضة له، فقد كشفت مصـادر قضائية (دلولة حديدان 2008) تورط 1500 حدث بالجزائر في قضايا متعلقة بالسـرقة خـلال الثلاثـي الأول لسـنة 2008، تليها الاعتداءات الجسدية الممثلة في الضرب والجرح العمدي بقرابة 800 قضية مع تسجيل ارتفـاع خطيـر لظاهرة الاعتداء على الأصول إضافة إلى تعاطي المخدرات وحيازة الحبوب المهلوسة.

كما أكد مصطفى خياطي (دلولة حديدان 2008) أن 15 ألف طفل يتعرض سنويا للمحاكمة، 800 طفـل مـنهم انتهى بهم المطاف إلى دخول مؤسسات إعادة التربية، بينما لجأ آخرون لاحتراف الجريمة حيث أوقفت مصالح الـدرك الوطني سنة 2007، 2073 طفل جراء مختلف الجرائم منهم 519 طفل تورطوا في قضايا الضرب الجـرح العمـدي و750 في قضايا السرقة و200 في قضايا الفعل المخل بالحياء وتخريب وتحطيم الممتلكات و14 فـي قضـايا متعلقـة بالاغتصاب.

أما في ترتيب الولايات فقد احتلت ولاية باتنة المرتبة الأولى ثم العاصمة بـ 114 طفل، ثم سـطيف بـ 99 طفل تليها وهران بـ 96 طفل.

إن ظاهرة جنوح الأحداث في الجزائر في تزايد مستمر و صارت تمثل واقعا مفضوحا لا يخفى على احد و هذا ما يعود بالخطر على أفراد المجتمع، فالجانح الصغير مشروع مجرم كبير في مجتمع عصري تفككـت فيـه الـروابط الأسريةواختلطت المفاهيم المستوردة و البدع المستحدثة، و ساد فيه هجر المقاعد الدراسية و النظرة المتدنية للتحصـيل العلمي، والرغبة المدمرة في الثراء السريع و الشهوة الجارفة للاستمتاع بالملذات، إذ أن لهذه المعطيات و التغييـرات آثار سلبية على أساليب التنشئة الاجتماعية مما يولد أنماطا من السلوكات الشاذة و المنحرفة فكيف تتولد هذه السلوكات الجانحة و كيف تتبلور؟ وتحديدا ما هي الميكانيزمات الأساسية التي تقف وراء انبناءها؟

تطرح هاته القضايا بشدة أمامنا طلبا لفهم وتفسير ظاهرة جنوح الأحداث على اعتبار أن السلوك الجـانح فعـل شاذ ومستفز استدعى اهتمام علماء الشريعة والقانون والاجتماع والنفس، ويعرف الجنوح على أنه مرور للفعـل مـن النمط المضاد للمجتمع أو بالعدوانية نحو الآخر ولكن هذا التعريف يستلزم بعض التوضيحات،

1-المرور للفعل في علاقته بالآخر يمكن أن يكون ذو نمط عدواني أو ذو نمط اكتئابي

2-الجنوح هو سلوك (ACTING OUT) يظهر في خلفيته أنه نمط سلوك وتفكير يكون هو الأصل في النشاط الجـانح، هذا النمط في الوجود هو مرضي ولا يتـفعل دائما في "المرور للتصرف"

3-الجنوح كنمط للوجود للتفكير وللتصرف هو إشارة عن الفشل الأساسي في سيرورة الجتمعة، إذ يجـد هـذا الفشـل أصوله في وسط أسري أو اجتماعي مولد للمرض ناتج عن علاقة اجتماعية مزيفة طورها فرد ما مـع أبويـه خـلال طفولته.

4-المرور للتصرف يسمح للفرد بمواجهة الفراغ الداخلي وبالتدقيق يسمح له بتجنب نمط حياة دون آفـاق، دون فائـدة ومن جهة أخرى تجنب نمط حياة متمـركز حول احترام الآخر، الاستقلالية والمسؤولية. [Pelsser,1989]

سنحاول من خلال هذا المقال توضيح الأطروحات سابقة الذكر انطلاقا من وجهة نظر عيادية لتسـليط الضـوء على بعض نقاط الظل فيما يخص مفهوم جنوح الأحداث وتحليل أهم الآليات المتدخلة في نشأته بتوطيـد الصـلة بـين الشروحات النفسية والاجتماعية لجنوح الأحداث لأن المظهر السيكودينامي للجنوح يحمل في طياتـه العلاقـة بـالآخر وبالمجتمع.

1-نقل اللا جتمعة:

تبدي بعض الدراسات أن معدل الجنوح مرتفع في الطبقات الاجتماعية الدنيا عنه في الطبقات الاجتماعية العليا، ويرجعون ذلك إلى أن المراهق المحروم ماديا يستعمل عدة طرق للتعويض والحصول على المال ليحقق جميع رغباته

في حين تبدي دراسات أخرى أنه لا يوجد ارتباط بين ظهور الجنوح والمكانة الاجتماعية حيث نرى الكثير من الجانحين ينتمون لعائلات ميسورة الحال ولكن الجانحين الذين ينحدرون من الأحياء المتدنية الشعبية يظهرون أكثر لأنه وبكل بساطة هم من توقفهم الشرطة و تتم محاكمتهم بينما يجد الأغنياء عدة طرق لمعالجة الأمر بسرية (مثلا دفع كفالة مالية، دفع تعويضات عن الخسائر والأضرار، زيارة أخصائي نفسي...) ما يجدر الإشارة له هو أنه بالرغم من الاختلاف بين الدراسات إلا أننا نلاحظ أن الجانحين الذين يكررون الجرم والأكثر عنفا هم الفقراء.

الجنوح ليس مشكلة طبقة اجتماعية ولكن مشكلة الوسط العائلي إذ أن هذا الأخير يمكن أن ينقل روح الجنوح للأطفال والمراهقين، حيث أن آباء الجانحين عادة ما يهمشون القيم الاجتماعية فهم بالذات لم يتموا سيرورة الجتمعة طبيعيا، فالجانح يحين بطريقة أو بأخرى الجنوح الكامن عند الآباء الذين ينقلون له نظرة منحرفة عن المجتمع. [Pelsser,1989]

2- **المرور للفعل الهجومي والمرور للفعل الدفاعي:**

نلاحظ مما سبق أن الجنوح ينتج عن خلل في طريقة التنشئة الاجتماعية التي تتميز بخاصيتين نمطيتين هما: غياب احترام الآخر وغياب المسؤولية الاجتماعية.

2-1- الخاصية الأساسية هي **غياب الاحترام**، غياب الاعتبار للآخر وخاصة لنفسه، حيث يهاجم الجانح الآخر ولا يعتبره كشخص، يريد استغلاله والتحكم فيه (مثل حالات الدعارة) أو على العكس الاعتداء عليه وتدميره (مثل السطو المسلح)، يكون عدم الاحترام في الحالة الأولى كامنا ومتظاهرا في الحالة الثانية.

2-2- الخاصية المرافقة هي **غياب الاستقلالية أو المسؤولية الشخصية** في العلاقة بالآخر، سواء على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي.

غياب الاحترام وغياب المسؤولية هما خاصيتان متلازمتان، عندما تنقص استقلالية الفرد بالنسبة لشخص آخر أو مجموعة أشخاص (مثلا منظمة/ بلد) تؤدي لتحطيم العقد الاجتماعي الفردي أو الجماعي فلا يحترم الآخر كشخص. تعتمد الخاصيتان أساسا على القدرة على الجتمعة حيث يمثل الجنوح انحراف، فشل في العلاقة بالشريك الاجتماعي وبالمجتمع بصفة عامة، إذ تكون هذه العلاقة مزيفة، فاسدة، بينما يرفض الجانح العلاقة بالآخر يقحمه بطريقة متناقضة دائما في أفعاله المضادة للمجتمع أو اللا اجتماعية.

ما يجدر الإشارة له هو أن المرور للفعل باعتباره غياب احترام الغير وغياب المسؤولية الاجتماعية لا ينحصر على الجنوح ذو النمط العدواني الهجومي ولكنه ينطوي على بعض أنماط السلوك التي تعبر عن الفشل الذريع في سيرورة الجتمعة كالدعارة سواء كانت جنسية مثلية أو جنسية غيرية، تعاطي المخدرات أو المتاجرة فيها وحتى بعض أنماط محاولات الانتحار.

إذن يقيم الجانح مع الآخر علاقة مؤسسة إما على الاستغلال والسيطرة وإما على المعارضة والعدوان، يبقى الآخر دائما لعبة يمكن التحكم فيها وإلا وجب تدميره، فشعار الجانح هو:" إذا لم تستطع ضربهم فصادقهم" أو "إذا لم تكونوا معي، فأنتم ضدي"، تطيح هذه الطريقة في التفكير والتصرف الوفاق التعاقدي الأساسي لكل علاقة اجتماعية، الجانح يصبو للإحساس بالقوة وعدم الجروحية.

إن نمط العيش الاجتماعي لدى الجانح يكتسبه من وراثة نفسية التي تخلف سمات تترجم في بعض الأحيان إلى سلوكات في الشخصية، و التي تعتبر مبادئ هامة في حياته، و من بين السمات التي تظهر في شخصية الجانح نجد قطع للعلاقات، خرق القوانين و الأطر، الدفاع ضد المحتويات النفسية الداخلية ، كما يرفض العيش في الحياة التي تتميز بالهدوء و يعتبرها تافهة.

حيث يرى Robert Pelsser (1989) أن الشخص الجانح يعيد دائما النظر في مسألة العلاقات بالآخرين، كما يقوم بوضع العديد من الاستراتيجيات من اجل جعل هذه العلاقات فاشلة، و يستعين في ذلك على نمطين في علاقته مع الأخر:

الأولى: تتمثل في الإغراء والعناية بالآخر، حيث يبدي علاقة رائعة من أجل أخذ مبتغياته، ولكن فجأة يتغير، أثناء هذه المرحلة فيتكيف تكيفا مزيفا ويصبح خاضعا من اجل تحقيق المكاسب الذاتية وهذا في وقت قصير.

أما الثانية: يعتمد الجانح على وضعيات الابتزاز والمعارضة إذ يستعمل القوة والضغط بطريقة حذقة ودبلوماسية كما قد تكون مباشرة أو غير مباشرة يستعمل وسيلة يراها مناسبة للوصول إلى الآخر.

كما يتميز في علاقته مع الآخر انه لا يحترم هذه العلاقة، وهذا من خلال غياب استقلالية الآخر ومسؤوليته، ولكن يستطيع أن يسيطر على هذا الوضع من خلال الاستراتيجيات المذكورة، خاصة العاطفية والمالية، يرى الشريك انه دائما في خدمته، حيث يطلب منه التكيف المحتوم والخضوع لمتطلباته ويدخل الشريك فيما يسمى بعلاقة التلاؤم التغييري Relation Alloplastique.

إن رفض و خرق القوانين و الأطر من السمات الأساسية التي تميز الفرد الجانح، قد يستحمل كل الأطر و القوانين الذاتية النابعة من الأعماق النفسية، لكن يرى الأطر و القوانين الاجتماعية كإساءة أو مهاجمة للذات، فتجده كما قال Robert Pelsser (1989) " ينازع في المدرسة في العمل، يصنع قوانين خاصة به يفرضها على الآباء والأساتذة، يرفض أن يكون مسؤولا ،أو فردا ضعيفا، ولا يخضع للقوانين والأطر الاجتماعية إلا في ظل المراقبة الاجتماعية وفي حضور الآخرين أمامه".

كما نجده يرفض الأفكار والعواطف، حيث يركز مباشرة على الانتقال إلى الفعل، فهو يهتم فقط بالحدث وحركيته، بالتغير واكتساب الشيء الجديد، وبالتالي غير مرتبط بالتفكير أو الشعور بالآخر كما لا يستطيع أن يختبر حالته النفسية، فهو لا يحب أن يعيش ما يشعر به داخليا، كما يحب الأشخاص الذين يعقدون له حياته، تجده يهرب من الوضعيات المحبطة والتي تخلف له الشعور بالذنب والإجهاد والتوتر والعدوانية.

فهو يحاول حماية ذاته من التحقيق الذاتي والأسئلة، فلا يستطيع إدماج العواطف بطريقة منسجمة ومتناسقة في حياته النفسية، يبحث عن حيل من اجل نزع أو التخلص من القلق الذي يجتاحه، فيلجا إلى استعمال القوة و/ أو المخدرات، يبحث دائما عن الاستثارة من اجل البعد عن الحالة صفر (يعني الشعور بأن لا يكون شيء، فهذه العدوانية تصدر أو ناتجة عن الشعور بأن يكون منفردا، خارج القانون، مسير، متسلط والإحساس بأنه يتملك الآخر) لكي يخرج نفسه من الوضعيات التي تشعره بالضجر أو الضيق.

إن الرغبة في الاستثارة والعدوانية التي تعتبر أساسية يصل بها الجانح إلى نقطة أين يصبح هناك اختلاط بين اللذة وعدم للذة أو التكدر والانزعاج، فيصبح البحث عن نيرفانا، إذ يتميز الحدث بالبحث عن اللذة أو البحث عن نيرفانا هادئة، منسجمة.

الجدير بالذكر هنا هو أن الفرد الجانح في بحثه على اللذة يكون مستعدا للانتقال إلى مرحلة اللالذة والعدوانية المتطرفة من أجل الوصول إلى الهدف، حيث يتواجد لديه شكل مرضي شاذ، يتمثل في شذوذ اللذة وعدم اللذة إذ يجد

اللذة في المواضيع غير السارة والمؤلمة أو العكس يجد عدم اللذة في الراحة والهناء. فهو يرفض الحيـاة التـي تتميـز بالسهولة، ويحب أن يعيش

في الحياة المهتزة المضطربة، تتميز «بالاستثارة والبعد عن الروتينية التي تشبه فترة الكمون التي تسـبق فتـرة المراهقة، فهو لا يحب أن يعيش كفرد يقع في متوسط المنحنى ولكـن علـى الضـفتين المنحـرفتين أو القصـوى». Robert Pelsser (1989) وهذا لأنه يتميز بالمبادئ الحرة التي لا تخضع للقوانين ،تجده دائما متطرفا مـن خـلال العدوانية ضد الاكتئاب، و اللجوء إلى محاولات الانتحار ، يخوض وضعيات الخطر ، يدحرج حياته كما يحب دون أن يأبه بأي نتيجة، يحاول تحقيق أحلامه الخيالية في الواقع مثل الثروة المالية و الرفاهية و القدرة الذاتية.

إن هذا النمط من العيش يرجع إلى عوامل نفسية والتي يمكن أن تفسر على أساس نفسي دينامي، فنجد النظريات النفسية بمختلف اتجاهاتها النظرية تؤكد بأن الجريمة والفرد الجانح ترجع أسبابهما إلى عوامل نفسية.

فنجد البعض من أكد على التقدير الزائد والمفرط للذات للوقوع في الجريمة أو التعـويض النـاتج عـن الفقـر العاطفي، وتفاقم الصراعات من اجل الهوية، خاصة في مراحل المراهقة ومشاكلها، ونقص الوعي الأخلاقـي والزيـادة المفرطة في النزوات العدوانية والجنسية، فقدان المراقبة الذاتية والتخلف النضجي للعلاقات التفاعلية الخارجية، واكتساب هوية سلبية.

إن هذه العوامل لا تفهم إلا من خلال تحليلها تحليلا نفسيا يرجع إلى أصول متجذرة في ماضي وتـاريخ الفـرد الجانح لذلك سوف نتطرق إلى تحليل هذه المحتويات النفسية من خلال إبراز المنشئية النفسية السببية لهذه الشخصية.

3-سببية جنوح الاحداث من خلال المقاربة السيكودينامية:

تعتمد المنشئية السببية لعلم النفس الإجرامي على المقاربة السيكودينامية بمعنى على دور الصـراعات النفسـية الداخلية التي من شأنها أن تؤدي إلى دوافع أو سلوكات، حيث يرى Louis Brunet (2003) أن مصطلح الصراعات الداخلية متعلق بالجهاز النفسي الذي يلاحظ كنظام يظهر فيه الصراعات من خلال الاندفاعـة الطاقويـة الناتجـة عـن الانفعالات اللاواعية ومن خلال الرغبات التي يعاني من عدم تحقيقها، يأتي الصراع عندما تكون هناك وضـعيات بـين الضغط و الرغبات المتعارضة التي تستوجب حلا متناسقا و متكيفا أو انه معاكس من خـلال ظهـور الأعـراض أو المرض.

كما تعتمد هذه المقاربة على تأثير ودور اللاشعور في توازن الشخصية من خلال نمط العلاقة التفاعليـة التـي تظهر لدى الجانح والطبع الذي يخلفه هذا الركن.

فيظهر الحصر والقلق والضعف، وإنقاص من قيمة الذات والمطالبة والعدوانية، كما يخلف ميكانيزمـات تتميـز بإسقاط المشاعر العدوانية للخارج، دفاعا ضد المشاعر الفارغة أو مشاعر الفقدان ضد الاكتئـاب، كمـا نجـد تحويـل العدوانية اتجاه الذات من خلال سلوكات مضادة للمجتمع محطمة للذات والتقمص بالمعتدي من أجل تهديد الأخر ورفض الواقع.

تؤكد بعض الآراء أن بعض الجانحين يتميزون بقصص حياتية، تتميز بالفقر العاطفي، و فقر جسدي هام راجـع إلى وضعيات الانفصال المتكررة وعادات غير متناسـقة تتميـز بهـا شخصـية الأم وهـذا مـا اقـره Bowlby، Spitz، Ainsworth في Robert Pelsser (1989) من خلال تحليل العلاقة بـين الحرمـان العـاطفي الأمـومي و ظهور الاضطرابات الخطيرة في السلوك و العلاقات مع الآخر.

أما Johnson et Szurek (1952) في (1989) Robert Pelsser يريان أن الآباء يلقنون بطريقة لا واعيـــة الجريمة للأولاد لأن هذه الأخيرة تريح النفس من العدوانية المقموعة سابقا التي لا يمكن توجيهها ضد الآباء في تلـــك المرحلة و لكن تظهر و تتجسد في معالم الكبر.

وفي الأوقات الراهنة هناك فرضيتان في علم النفس تفسر السيرورة الدينامية للظـــاهرة الإجراميـــة والشـــخص الجانح:

تتعلق **الأولى بفرضية** ناتجة عن بعض الأحداث الخاصة بالعلاقة الموضوعية، فهي تركز على طبيعة العلاقـــة للصور الأبوية (أم/أب).

أما **الفرضية الثانية** فتتعلق بالميكانيزمات الداخلية وتأثيرها على الحياة الهوامية والذهاب إلى ما وراء الحـــدث الطبيعي أو الحياة العادية، حيث يتميز الجانح بهوامات نمطية.

حيث تسمى الفرضية الأولى تفاعلية (Interactionnelle) أما الثانية تسمى نفسية داخلية (Intrapsychique).

الفرضية التفاعلية: تؤكد **الفرضية التفاعلية** أن هؤلاء الأفراد يخضعون لوضعيات انفصال متكررة مع إزاحة وانتقـــال ورفض وضعيات أسرية خاصة، تتميز بغياب كلي للأب، وحضور غامر للأم، مع صراعات هامة بين الآبـــاء، حيـــث تكون مراحل التقارب الوجداني من الطفل قليلة تتبعها مراحل تباعد كبيرة وهامة في حياة الفرد، فـــالأم تمـــارس علـــى الطفل نوع من التناقض المتطرف حيث تصبح متشددة، عدوانية في مراقبتها لابنها. فيظهر عدم القدرة على الاســـتثمار النرجسي، حيث يكتسب الطفل علاقة تفتقد للسند العاطفي التي تمهد للإجرام في المستقبل. فهو لم يكتسب صورة الـــذات الايجابية، يخاف دائما أن يواجه ذلك الشعور بالفراغ أو الحرمان أو الفقدان وصورة الذات المهدمة فالجانح يتميز بغياب الاشباعات ممزوجة بمشاعر اكتئابية عدوانية ويقوم بتغطية ذلك العجز النفسي وتلك العلاقة التي خلفت الجريمة الناتجة لمثالية الأنا.

الفرضية النفسية الداخلية: تفترض أن المجرم يظهر نتيجة أحداث و قصص حياتية معاشة خلال مراحل نموه، حيـــث اعتبر Kohut [Pelsser,1989] أن الجريمة تفهم كمحاولة لإعادة الوضعية النرجسية المفقودة وإن الجانح لا يســـتطيع أن يعلن عن كل رغباته و قدراته، فيترجم هذا السلوك كدفاع ضد الخبرات العاطفية المفقودة.

4- نشوء الشخصية الجانحة حسب Klein:

4-1 - **الذنب والقلق**: ترى Klein أن الشعور بالذنب والقلق مصطلحات أساسيان للتعمق والفهم الجيد للميول للجريمة حيث اعتبرت أن الطفل تعرض لمشاعر الذنب التي قمعها فخلفت شعور القلق فهو الثمرة التي تركت هناك أنا أعلى بدائي جد متطرف.

4-2 - **تخيل الاضطهاد:** ترى أن الجانح لديه تصورات الاضطهاد، قد تكون لاواعية حيث يقوم بإلغـــاء ومســـح تلـــك التخيلات وترك معنى الاضطهاد والصورة الاضطهادية أين يذهب مباشرة إلى الفعل العدائي، فالشعور بالاضـــطهاد هو الدافع إلى تحطيم الآخر.

4-3 - **مشكلة الحلقة المفرغة**: ترى أن الطفل يعيش حلقة مفرغة إذ يعاني قلقا ناتجا عن الأنا الأعلى البدائي، يرفـــع هذا القلق من شدة الغضب لدى الطفل كما يوقظ الرغبات التي قد تكون مرتبطة بالغضب الشديد، تتحطم الهوامـــات المتعلقة بالموضوع من أجل الحماية وتستقبل كمهددات محطمة، هذه الحلقة والهوام العدائي يخلفان حقد جديد علـــى الموضوع فيحدث الهجوم.

5 الاليات الدفاعية:

5-1- الانشطار: من بين الدفاعات التي يعتمد عليها الجانح كما أكدت M.Klein(2001) نجد الانشطار والتقمصات الاسقاطية والدفاعات الهوسية التي تكون مستعملة من طرف الأنا ضد الصراعات والقلق والحالات شبه العظامية.

فالانشطار يكمن في الانشطار عن الموضوع المحبوب، الذي يشعر به انه متناقض وبالرفض والاضطهاد، فهو عاش وضعية علائقية لا واعية غير متقبلة لا يستطيع الأنا تقبلها وهذا أثناء الطفولة المبكرة، يحاول مسحها ومسح كل الذكريات المتعلقة بها تكون قد ألغيت بحيث لا يبقى أي شعور يحمل معنى الحب، لا يبقى في نشاطه العقلي سوى كلمة العدو بحيث يساهم الهوام في ترسيخ الفكرة الدفاعية التي يعتمد عليها اتجاه الآخر بحيث يحل القلق محل الشعور بالذنب. [Pelsser,1989]

5-2- التقمص بالمعتدي: يرى Bronfenbrenner (1960) أن هناك نوعين من التقمصات لدى المفاهيم الفرويدية وهما متضادان، التقمصات الإتكالية والتقمصات بالمعتدي، تعتبر Anna Freud من اهتم بموضوع التقمص بالمعتدي، فالأنا ينتقل من وضعية سلبية مقلقة إلى وضعية نشيطة من شأنها أن تتفادى الوضعيات المقلقة، فالفرد الذي كان ذات يوم ضحية لصدمة أثناء الطفولة يتقمص مباشرة ما فعل به المعتدي وهذا حسب (Casoni 2003 p 128). حيث أن التقمص بالمعتدي يخفف من القلق ويحقق الراحة النفسية، إن التقمص بالمعتدي يوسع دائرة الهوية العدوانية قد يكون المعتدي هو الأب.

6-أنا الجانح:

رغم هذه الدفاعات التي يستعملها الجانح يتميز الأنا لديه بعجز و فقر في دفاعاته لكن تظهر فعالية دفاعاته أثناء القلق و الشعور بالذنب فهو يستعمل مجموعة من الوظائف المتعلقة بالأنا تكون جد فعالة أثناء الجريمة أو ارتكاب السلوك الإجرامي قد تصل إلى 22 وظيفة و قد أوردها Louis Brunet (2003) كالآتي:

1 عدم السماح للانا بالعيش في الاحباطات.

2 يستطيع الأنا أن يقود كل مشاعر القلق والخوف وذلك من خلال غياب كلي للمراقبة، يستوعب الأنا أن يستعمل دفاعات متطرفة فقيرة مثل الهروب أو الهجوم أو التهديم.

3 عدم قدرة الأنا استعمال التجارب الإغرائية لكي لا يقع في الفخ.

4 إضعاف الأنا أمام الاستثارات أو التسممات النفسية الناتجة عن الآخرين من أجل تحقيق مكاسب.

5 صمم الأنا لا يسمع الأنا بأي شيء سوى الصوت النزوي الذي يتطلب إشباع مباشر.

6 عدم القدرة على معالجة الموضوعات المتعلقة بالمستقبل.

7 خضوع الأنا إلى وضعيات مدح أمام ردود العمل الجديدة خاصة الخادعة لكي تكون دائما حذرة.

8 عدم تنظيم الأنا أمام وضعيات الشعور بالذنب حيث لا يستطيع الدخول في هذا الشعور أو يعطي له مبررات.

9 تصعيد الأحداث وإسناد السببية للآخرين.

10 عدم القدرة الأنا تكوين دفاعات أو مراقبة للبدائل.

11 عدم القدرة على المراقبة الخاصة بالماضي ولكن تظهر مباشرة في الحالي.

12 عدم القدرة على التكيف العقلي أثناء الفعل أو أثناء فقدان إشباعات غير متوقعة.

13 عدم القدرة على الرجوع للصور الماضية التي حققت اشباعات لأن الوضعيات الحالية قد تخلف احباطات وهو لا يستطيع أن يعيش الاحباطات والانا بالتالي لا يستطيع أن يذهب إلى نكوصات إيجابية

14 غياب الأطر الواقعية والروتينية لدى الأنا ويعيشها كنظام يترجم بطرق اضطهادية.

15 عجز في مفهوم أو مصطلح الوقت أو الزمن خاصة المتعلقة بالماضي أو المستقبل.

16 عدم القدرة لإخضاع الأنا في العيش أمام الحقائق الاجتماعية.
17 عدم القدرة على أخذ الخبرات الجديدة.
18 عدم القدرة على معالجة نتائج الآخرين
19 ردود فعل غير ملائمة سواء للنجاح أو الفشل وهذا راجع إلى الهوية السلبية.
20 ردود فعل غير ملائمة أثناء المنافسة وهذا خوفا من الاحباطات أو الفشل أو الخوف من العدوانية أو الحكم الناتجين عن الآخرين.
21 مفهوم (لا) الممزوجة في الأنا أثناء الاتصال الجماعي وهذا راجع إلى عدم القدرة على التكيف في الجماعة والـذي يعلن على أن هذه الجماعة قد تنتهي بالفردية.
22غياب الواقعية أو الحقيقة أثناء تقييم وسائله الذاتية.

7-التقمص الخاص بالأنا الأعلى:

ترتبط الجريمة بإشكالية التقمص الخاص بالأنا الأعلى بحيث وضع المختصون ثلاث فرضيات:

7 -1- فقر في التقمص للانا الأعلى: نجد في هذا النموذج كل مـن Anna Freud, Cedarleaf, Thornton فـي (Casoni, 2003). ، حيث تحدث الاضطرابات في الصور الوالدية بعض النقص و خاصة نقص في الأنا و بالـذات في الأنا الأعلى، التي لا تسمح باستدخال المبادئ الأخلاقية أو تمنع استدخال كاف للممنوعات يؤدي هذا النقص إلى نوع من اللااجتماعية عوضا عن الضد اجتماعية.

7-2- تقمصات ذات طبيعة مضادة للمجتمع: يتقمص الطفل والد منحرف أو له ميـول انحرافيـة ويطـور بالتـالي خصائص شخصية مماثلة لشخصية والده مثل شعور متدني بالمسؤولية والاندفاعية، كما أن تقمـص أتـراب جـانحين يساهم في بناء الشخصية

7-3- عدم القدرة على تقمص خاص بالأنا الأعلى بناء: في هذه الحالة يكون هناك عدم قدرة على تقمص أنا أعلـى لأن الأنا يمنع تشكيله من خلال التثبيتات النرجسية البدائية.

8-الخوف من فقدان الموضوع وإنكار القلق:

إن الخوف من فقدان الموضوع ينتمي إلى الوضعيات النرجسية خاصة البدائية، فنجد الفـرد يسـتعمل وسـائل العدائية من أجل إنكار القلق، أنا المجرم غير مجتاح بالقلق ولكن موجه مباشرة نحو المواجهة بطريقة تمنع من معـاودة العيش في الوضعيات السابقة التي تتميز بالعجز، كما يكون هناك رفض للحاجة للآخر خاصة الموضوع المتعلق بالآباء والذي يحقق له توازن نفسي على صعيد مستقبلي.

9-باتولوجيا النرجسية:

إن أصول باتولوجيا النرجسية ترجع إلى خلل وفشل يحدث أثناء النمو السيكولوجي للفرد، حيث لا يعتبر الآخـر جزء ممتد من ذاته، بحيث يجب أن يكون الفرد " هو الكل، وله كل شيء"

تعتبر الجريمة كمحاولة لإصلاح وترميم وضعية نرجسية فقدت بحيث يهتم الجانح بالخبرات الجديدة التي تتميـز بالقوة والاختلاف عما كان عليه في السابق، وتبرز كتحطيم للآخر وللذات من أجل الانتقال إلى اللامعروف واكتشـاف الجديد.

يرى Kernberg في (Casoni 2003 p103). أن الأشخاص الذين يعانون من المرض النرجسي يظهر لـــديهم سلوكات وطبائع خاصة وثابتة التي تظهر على بنية الأنا والأنا الأعلى الناتجة عن العلاقات الداخلية النفسية فهي تتعلــق بإشكالية الانحراف والجريمة» فكل شخص يعاني مرض نرجسي لديه سيرورات مضادة للمجتمع.

10-سمات الشخصية الجانحة:

تتميز الشخصية الجانحة بالسمات التالية:

- قطع العلاقة مع الآخر" الخضوع، التحكم والقوة".
- عدم السماح بالإحساس بالاحباطات والاحتياجات الشديدة للآخرين.
- غياب الشعور بالذنب وغياب الشعور بعدم شرعية الحدث.
- الشعور بعدم العدل وبأنه ضحية.
- إنقاص من قيمة الذات، تقدير سيء للذات.
- رفض المجتمع والمساهمة الاجتماعية.
- عدم الارتباط العاطفي والافتقاد لغرائز الحب والود.
- الأنانية والتمركز الذاتي.
- التخلص من العواطف التي تحرجه وبالتالي الانتقال إلى الفعل.

خلاصة:

إذن ينتمي الجانح إلى الحالات الحدية وهو ناتج عن مكونات عائلية ذات أصل يفتقر لسيرورة الجتمعة أو نمــط عيش عصابي، وفي بعض الأحيان يصل الجانح إلى الهروب من هذين الأسلوبين في العيش اللذان يتميــزان بــالموت الناتج عن الحياة العادية والروتينية إذ يمر للفعل فيصل إلى الإحساس باستثارة وعدوانية خادعة واصــطناعية « Faux self"، تكون هذه الاستثارة جد هامة تسمح بالعيش في حالة مهتزة ومرتجفة تسمح بفتح الصور الأبويــة ذات الســمات اللااجتماعية

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

دلولة حديدان، 2008، قرابة مليوني طفل عامل و36 ألف طفل متشرد ومليون ضحية المأساة، **جريدة الشروق.**

المراجع الأجنبية:

1- BERCLAZ Michel, 2001, Agressivité, hostilité et violence, Genève, HUG
2- CASONI Dianne, BRUNET Louis, 2003, La psychocriminologie: apports psychanalytiques et applications cliniques, Montréal, les presses universitaires.
3- PELSSER Robert, 1989, Manuel de psychopathologie de l'enfant et de l'adolescent, Québec, Gaëtan Morin Editeur
4- PELSSER Robert, 1987, La délinquance mode de vie et passage à l'acte, Revue québécoise de psychologie, Vol : 08,n°2, pp. 62,75
5- PETITCLERC Jean Marie, 2005, Les nouvelles délinquances des jeunes, Paris, Dunod, 2eme édition.
6- SETTELEN Daniel, 2000, Approche psychodynamique des violences à l'adolescence, pp. 36,48 in REY Caroline, 2000, Les adolescents face à la violence, Paris, syros